أبرز السمات المعمارية للمساجد الإسلامية الكبرى فى لبنان في الفترة الوسيطة (بيروت – صيدا – طرابلس)

د.رفاه شحادة قصير •

الملخص:

البحث هو دراسة للمساجد الجامعة الوسيطة في عدد من المدن اللبنانية الرئيسة ومميزاتها المعمارية والفنية، وأبرز السمات المعمارية فيها وأهمها:

١- الجامع العمري الكبير في بيروت: وهو من أهم الجوامع الوسيطة في مدينة بيروت وعرف باسم جامع فتوح الإسلام.

٢- الجامع العمري الكبير في صيدا: يرتفع الجامع غربي مدينة صيدا وهو يشبه القلاع بمظهره العام.

٣- الجامع المنصوري الكبير في طرابلس، يقع في وسط المدينة على الضفة اليسرى لنهر قاديشا.

الكلمات الدالة:

حنية العقد، دعامة، رواق، منبر، مصلى، مأذنة، ساكف، كوابيل حجرية، محراب، بركة، ميضأة، عقد حدوة الفرس، المسجد الجامع.

• أستاذة في الجامعة اللبنانية، قسم الآثار كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الخامس.
dr.rafah.chehade@hotmail.com

المقدّمة

ركز الرسول الكريم على أهمية بناء المساجد ووردت أحاديث عديدة في هذا الخصوص منها: " وجُعلتْ لي الأرضَ مسجدًا وطهورًا "، أَحَبُّ البلاد إلى الله مساجدُها"، "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ".

استوحى الرسول شكل المسجد وخطته من روح الإسلام وحده. والمسجد هو مجرد مكان طاهر يلتقي فيه العبد بخالقه، وهو مساحة نظيفة مستوية مطهّرة يحيط بها سور[١].

ومن المعروف أنه لا توجد آية قرآنية، أو حديث نبوي شريف يشير إلى كيفية بناء المساجد.

لكن الطريقة المتّبعة في بناء المساجد الأولى في الإسلام وخصوصًا في المدينة، والبصرة، والكوفة، اتخذت مثالًا لبناءالمساجد في جميع الأصقاع الإسلامية[٢] (مخطط رقم١).

إن الشعائر الدّينية والدّعوة إلى الصلاة هي التي فرضت تخطيط بناء المسجد. خصوصًا المسجد الجامع الذي يجتمع فيه أكبر عدد من المصلين، فيه منبر، وتقام فيه صلاة الجمعة.بعد إقامة الأذان والدعوة إلى الصلاة يتجمّع الناس في باحة مكشوفة يتوسطها غالبًا بركة للوضوء استعدادًا للصلاة والدخول إلى قاعة الصلاة، التي يخترق حائطها القبلي محراب موجه باتجاه الكعبة الشريفة في مكة المكرمة محط أنظار محاريب العالم أجمع.أما تخطيط قاعة الصلاة فهو مستطيل الشكل إذ يصطف المصلون متلاصقة أكتافهم فيرسمون المسجد بشكله غالبًا بعكس الكنيسة المسيحية وتخطيطها البازيليكي الذي يرسم طولا، نجد المسجد يبسط جناحيه عرضًا لكي يقف أكبر عدد من المصلين جنبًا إلى جنب وفي الصفوف الأولى، ويركز على أهمية الصلاة في الصف الأول ليكون المصلي أقرب ما يكون من إمام الجامع. وتكون الأروقة في قاعة الصلاة متوازية مع حائط القبلة (مسجد أحمد بن طولون في القاهرة)، أو متعامدة مع حائط القبلة (جامع قرطبة في الأندلس).

---

[١] د. حسين مؤنس، المساجد، ص ٥٧.

[2] L'encyclopédie de l'Islam, architecture, p.630.

الجامع العمري الكبير في بيروت

لم تكن مدينة بيروت تحتل في السابق المساحة التي تشغلها حاليًا وحتى القرن الماضي كانت مجموعة مساكن تشغل مساحة يبلغ طولها الألف متر وعرضها ٧٥٠م.

كان يمتد السور من ساحة رياض الصلح القديمة إلى كنيسة مار جرجس المارونية إلى سوق أبو النصر إلى بناية دعبول حتى آخر شارع "فوش" ثم يصل إلى مقبرة السمطية ويصعد باتجاه باب ادريس إلى الكبوشية، ويلتقي أخيرًا مع بدايته التي انطلق منها شمال ساحة "رياض الصلح" التي كانت تُعرف باسم ساحة السور أو "العصور". (مخطط رقم٢)

موقع الجامع

يقع الجامع العمري الكبير في الوسط التّجاري القديم لمدينة بيروت، يحده من الشمال شارع كان يعرف باسم شارع ويغان ومن الشرق شارع يحمل رقم ٦٠ متفرع من شارح حسين الأحدب، ومن الجنوب شارع جورج عاقوري– أما من الجهة الغربية فيحده "شارع الجامع العمري الكبير" الذي عُدّ امتدادًا لسوق العطارين القديم.

تاريخ البناء

عُرف موقع الجامع بأهميته التاريخية وهو البناء الأصلي لكاتدرائية القديس يوحنا المعمدان التي بنيت على أثر دخول الصليبيّين إلى بيروت في ٢١ شوال سنة ٥٠٣ هـ – ١٣ أيار ١١١٠م. بوشر ببناء الكاتدرائية في سنة ١١١٣م وانتهى في سنة ١١٥٠م[٣].

بُنيت الكاتدرائية على أنقاض كنيسة بيزنطية أُقيمت بدورها على بقايا حمّامات رومانية، وقد تبادل الصليبيّون، والمسلمون المبنى مرتين: الأولى بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على بيروت سنة ٥٨٣هـ – ١١٨٧م واستعمل المبنى خلال عشر سنوات كجامع ثم أُعيد استعماله كنيسة من جديد بعد سقوط المدينة بأيدي الصليبيين سنة ١١٩٧م[٤].

واستمر هذا الوضع حوالي ٩٥ سنة حتى سنة ٦٩٠هـ – ١٢٩١م حين تحوّل المبنى نهائيًا إلى جامع على أيدي المماليك البحريين، ودهنت جدرانه بالطلاء لتغطية الصور التي كانت تزين الأسطح الداخلية.

(3) Camille Enlart, les monuments des croises dans le royaume de Jérusalem Paris 1928, 70 - 77.
(4) Camille Enlart op.cit p.70 - 77.

وفي القرن الرابع عشر زار الرحالة ابن بطوطة بيروت، وذكر أن فيها جامعًا عظيمًا وهو يعني بذلك الجامع العمري الكبير. وسمي هذا الجامع بتسميات عدّة منها واستنادًا إلى نص كتابي موجود على الحائط الغربي اسم جامع فتوح الإسلام والكتابة هي الآتية:

"بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا المكان العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى عبد الله بن الشيخ إبراهيم – الخطيب الإمام في الجامع فتوح الإسلام من شهر رمضان من شهور سنة سبع وستين وألف (١٣ حزيران– ١٢ تموز ١٦٥٧م)، يا جامع الحسنين قد أنفقتوا مالي ، من حلال بفضل مولانا الكريم أرخت ذو الجلال سنة ١٠٦٧ (١٦٥٧م) و الحمد لله وحده و صلى الله على سيدنا محمد و على اله و صحبه وسلم"[٥].

وأطلق الرحالّة عبد الغني النابلسي في القرن الثامن عشر على هذا الجامع اسم الجامع الكبير[٦]، كما عُرف في القرن التاسع عشر باسم جامع النّبي يحيى، ويشيّع أن قبر النبي يحي في داخله وأخيرًا عرف باسم الجامع العمري الكبير تيمنًا باسم جامع قديم يُدعى باسم جامع البحر، أو الجامع العمري.

وصف البناء

إن الجامع الحالي هو مبنى مستطيل الشكل طوله ٣٣م وعرضه ٢٢م ينتهي من الجهة الشرقية بثلاث حنايا أكبرها الحنية الوسطى (صورة رقم١).

يدخل إليه من الجهة الغربية بوساطة مدخل رئيس، والمدخل هو صالة مربعة الشكل مغطاة بقبو متقاطع بأربعة عقود مدببة ترتكز على أربعة دعائم حجرية مزينة بأنصاف الأعمدة. ويعلو الباب زخارف نباتية تعود إلى تاريخ البناء الأصلي. إنّ المسقط الأُفقي للجامع هو مخطط بازيليكي، يتكون من ثلاثة أروقة: رواق وسطي ورواقين جانبين (مخطط رقم٣).

– الرواق الوسطي (صورة رقم ٢): يبلغ عرض هذا الرواق سبعة أمتار وطوله ٢٨مترًا وينتهي في الجهة الشرقية بحنية كبرى، غُطي هذا الرواق بقبو سريري منكسر محمول على عقود دائرية ترتكز على دعائم حجرية مستطيلة يلتصق بكل منها أربعة أعمدة ذات مسقط

---

[٥] صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت ، ص ٢٣.

[٦] عبد الغني النابلسي، التحفة النابلسية، ص ٤٢.

صليبي ، ويبلغ ارتفاعه ١٢,٥م[٧]. أما تيجان الأعمدة فقد زُخرفت بورق الأقنثيا وأوراق نباتية أخرى حادة الزوايا وملاصقة لجسم التاج كما هو الحال في أعمدة وتيجان العصر الرومنسكي والعصر البيزنطي.

– الأروقة الجانبية: يفصل بين الأروقة الجانبية والرواق الوسطي أربع دعائم، تغطيها قبوات متقاطعة ترتكز من جهة الرواق الأوسط على الدعائم، ومن جهة الحائط الرئيس للبناء على الأكتاف التي زينت بأنصاف الأعمدة – يصل ارتفاع الرواق الجانبي حوالي ٨,٥م[٨] وما يلاحظ أن الدعائم والأكتاف لا توجد على محور واحد وقد يكون السبب هو السرعة في إنجاز البناء بعد مرحلة الاحتلال الصليبي الأول.

تتم إنارة الأروقة بوساطة فتحات موضوعة في الجزء العلوي من الحائط ويلاحظ أن فتحات الحائط الشمالي هي أصغر من فتحات الحائط الجنوبي وقد يعود ذلك إلى إضافة رواق خارج المسجد من الجهة الشمالية واستحدث ثلاثة أبواب في الحائط الشمالي تؤدي إلى صحن أُلحق بالمسجد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي في الحقبة العثمانية ، ويُعتقد أن الرواق الخارجي قد أُقيم مع المحراب الخارجي في حوالي سنة ١١٨٣هـ– ١٧٧٩م (مخطط رقم٤).

الحائط الجنوبي أو حائط القبلة: يخترق الحائط الجنوبي محراب يكتنفه عامودان من الرخام، غُطي المحراب بالرخام الأبيض والحجر الرملي بشكل متناوب الألوان (صورة رقم٣) ويرجح أن أعمدة المحراب قد أُحضرت من مكان آخر. وهي على الأغلب مسيحية الأصل كما نجد منبرًا إلى يمين المحراب. صنع من الرخام الأبيض والأخضر ويصعد إليه بإحدى عشر درجة وقد غُطي مقعد الخطيب بقبة صغيرة وزُخرف جانباه من الخارج بزخارف نباتية عثمانية (صورة رقم٤). بالقرب من المحراب يوجد مقصوره خاصة وهناك اعتقاد سائد يذكر أن قبر النبي يحيى موجود في هذا المكان وهو صندوق خشبي مدهون باللون الأخضر يحيط به بناء فسيح قُدّم هبة من السلطان عبد الحميد العثماني.

---

[7] Camille Enlart, op.cit., p 73.

[٨] صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص٧.

واجهات الجامع الخارجية

– **الواجهة الشرقية:** تتكون هذه الواجهة من ثلاث حنايا أكبرها الحنية الوسطى التي ترتفع عن مستوى الحنيتين الجانبيتين وقد استعملت أنصاف الأعمدة التي تزينها التيجان في تشكيل الواجهة الخارجية التي يتوجها كورنيش محمول على كوابيل حجرية بشكل رؤوس الحيوانات أو رؤوس كاريكاتورية متنوعة[٩]، ونظمت في الواجهة فتحات معقودة بعقد دائري في محور الحنيتين الجانبيتين وثلاث نوافذ في محور الحنية الوسطى (راجع صورة رقم ١).

– **الواجهة الجنوبية** (مخطط رقم٥) تم تشكيل الواجهة الجنوبية أو حائط القبلة عن طريق وضع قوصرات مستطيلة المسقط ودعائم وفتحات وضعت في الجزء العلوي من الحائط – يخترق الواجهة في الجزء الأسفل أربع نوافذ مستطيلة وخمس نوافذ من الجزء الأعلى وعقدت هذه الفتحات بعقد نصف دائري ويلاحظ تطابق محور الفتحات مع محور القوصرات[١٠].

– **الواجهة الغربية:** يخترق هذه الواجهة مدخل حديث معقود بعقد حدوة الفرس المزخرف[١١] والمدخل هو عبارة عن صالة مربعة الشكل.

– **الواجهة الشمالية:**استحدث في هذه الواجهة ثلاثة أبواب:

الباب الأول يؤدي إلى الصحن الرئيس الواقع في الجهة الشمالية وهو معقود بعقد يُشكل جزء من دائرة، ولكل من البابين الثاني والثالث الواقعان إلى يسار الباب الأول عتب مستقيم(ساكف).

مئذنة الجامع العمري الكبير في بيروت

تقع مئذنة الجامع في الجهة الجنوبية الغربية ويُعتقد أنها أُلحقت في المبنى على الأغلب في نهاية العصر المملوكي وذلك حوالي سنة ١٥٠٨م – ٩٧٤هـ، استنادًا إلى نص كتابي نقش فوق باب المئذنة، وقد قام بهذا العمل شخص عُرف باسم موسى الزيني.

---

(9) Rene Dussaud, La Syrie antique et médiévale planche p 114.

(١٠) صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ١٦.

(11) Camille Enlart op.cit. p75.

النص هو التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذه المنارة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى الشرفي موسى بن المرحوم الزيني – مسلم داو دار الجناب العالي المولوي الأميري الكبيري الناصري محمد بن الحنش أعزهما الله تعالى بنية صالحة، وعزيمة صادقة، ورغبة في الثواب وتقربًا إلى ربه الكريم، وطلبًا لثوابه العميم أثابه الله الجنة بجنة، وكرّمه بتاريخ مستهل شهر الله المحرم الحرام. افتتاح سنة أربعة عشر وتسعمائة (٢ أيار سنة ١٥٠٨م) والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١٢].

وصف المئذنة

هي ذات مسقط مربع الشكل تحمل في أعلاها شرفة مربعة أيضًا أما إنارة المئذنة فتتم عن طريق فتحات مستطيلة الشكل تخترق حائطها الجنوبي.[١٣]

الجامع العمري الكبير في صيدا

يرتفع الجامع العمري الكبير أو جامع البحر غربي مدينة صيدا، ويشرف على شاطئ البحر، وهو بمظهره العام يشبه القلاع (صورة رقم ٥).

هناك رأي يقول: إن المسجد العمري الكبير هو في الأصل معبدٌ للشمس في مدينة صيدا، يؤكد على ذلك النافذة الدائرية الشكل الكبيرة الحجم الموجودة في الجدار الشرقي للجامع، وقد كانت عبادة الشمس رائجة خصوصًا في عهد النبي سليمان عليه السلام وجاء في سورة النمل آية ٢٤ "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ". ويُعتقد أن المكان تحول في ما بعد إلى كنيسة بيزنطية، ثم حُول إلى مسجد بعد الفتح الإسلامي لمدينة صيدا.

أطلق عليه اسم الجامع العمري الكبير نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وعند دخول الصليبيون إلى المدينة اتخذوا المسجد حصنًا لهم وأقاموا فيه غرفًا للإقامة، وصالة للأكل، وكنيسة صغيرة، واسطبلًا للخيول، وأماكن خدمة (استنادًا إلى مشروع إعادة ترميم الجامع الكبير). وكان ذلك في حوالي سنة ١٢٦٠م، وبقي كذلك حتى ١٢٩١م عندما

---

[١٢] صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، ص ٢٣.

[١٣] صالح لمعي مصطفى،المصدر السابق، ص ١٠.

حوّله المماليك إلى جامع عُرف باسم الجامع العمري الكبير، وقد أطلق عليه الرحّالة عبد الغني النابلسي عندما زار مدينة صيدا في عام ١٧٠٠م اسم "الجامع العمري".[١٤]

غمرت مياه البحر الجامع في سنة ١٨٢٠م بفعل الأنواء البحرية، وأحدثت فيه أضرارًا جسيمة[١٥]، أجريت فيه بعد ذلك أعمال ترميم مهمة ذكرها الرحالة الفرنسي فيكتور غيران الذي زار مدينة صيدا في العام ١٨٥٢م[١٦].

وصف الجامع العمري الكبير في صيدا

هو بناء مستطيل الشكل يبلغ طوله ٣٠ مترًا، وعرضه عشرة أمتار. دُعِّم من الخارج بدعائم حجرية لاصقة بالجدار. سماكة جدرانه تجعله باردًا في الصيف ودافئًا في الشتاء.

واجهات الجامع الخارجية

١- **الواجهة الشرقيّة:** تدعمها دعامتان لاصقتان في الزوايا يصل بينهما جدار يخترقه أربع نوافذ مستطيلة تعلوها فتحة دائرية كبيرة.

٢- **الواجهة الجنوبية:** دُعِّمت هذه الواجهة بخمس دعائم ملاصقة للجدار أقل عرضًا من دعائم الواجهة الشرقية، كما نجد عددًا من الفتحات المستديرة، والنوافذ التي يعلو البعض منها أقواسًا نصف دائرية، ويبرز بشكل ناتئ جدار المحرابين من الخارج (صورة رقم ٦).

٣- **الواجهة الغربية:** وهي على الأغلب حديثة البناء، شُيّدت بعد الفيضان سنة ١٨٢٠م، وأُجريت فيها أعمال ترميم حديثة. وهي تقسم إلى مستويين الواحد أعلى من الآخر، ونجد من جهة الجدار الغربي لقاعة الصلاة خمس نوافذ مستطيلة، ومن جهة الرواق الغربي للجامع سبع نوافذ مستطيلة من الأسفل تعلوها أربع فتحات صغيرة في الأعلى (راجع صورة رقم ٥).

٤- **الواجهة الشمالية:** وكانت تشكل المدخل الرئيس القديم للجامع (صورة رقم ٧). ذكره الرحّالة فيكتور غيران في القرن التاسع عشر[١٧].

---

[١٤] عبد الغني النابلسي ، التحفة النابلسية، ص ٧٠.

[١٥] أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص ١٠٨.

[16] Victore Guérin: La terre sainte. La Phénicie p118.

[17] Victore Guérin: La terre sainte. La Phénicie p118.

أقسام الجامع الداخلية

ندخل حاليًا إلى الجامع من الجهة الشرقية بالقرب من حمام الورد (صورة رقم ٨).

تصميم الجامع

يتّبع الجامع العمري الكبير في صيدا في تصميمه العام تصميم الجوامع الكبرى في العالم، فهو صحن رئيس مكشوف تحيط به الأروقة البسيطة من جهاته الغربية، الشمالية، الشرقية، والرواق الجنوبي هو أكثر الأروقة عمقًا. ويشكّل قاعة الصلاة (مخطط رقم٦).

تشغل قاعة الصلاة الحالية الجدران الأربعة للبناء القديم الذي كان يشكل على الأغلب قاعة للاجتماعات تابعة لفرسان القديس يوحنا المعمدان، وهو قاعة مستطيلة الشكل يخترق جدارها الجنوبي محرابان للصلاة متجهان باتجاه القبلة، بُني المحراب الكبير من الرخام الملوّن تعلوه كتابة قرآنية كُتب عليها الآية: "كلما دخل عليها زكريا المحراب".

أما المحراب الثاني فهو يقع إلى يسار المحراب الكبير وقد بُني بالرخام الأبيض اللون، ونجد بين المحرابين منبر حديث العهد، الحرم جيد الإنارة عن طريق نوافذ وفتحات في الجهات الشرقية، والجنوبية، والغربية. يعلو الرواق الجنوبي الذي يتقدمه حرم الصلاة عدد من القِباب حصل فيها ترميم على أثر الفيضان سنة ١٨٢٠م أولًا، ثم ترميم آخر على أثر الاجتياح الإسرائيلي لمدينة صيدا سنة ١٩٨٢م (صورة رقم ٩).

كان يوجد في فناء الجامع لجهة الغرب على الأغلب بركة للماء لم يعد لها حاليًا أي أثر ذكرها الرحالة النابلسي بقوله: "وفي فنائه بركة دافقة، مياهها عذبة، دافقة، وفي وسطها فسقية عليها قبة عظيمة البيان، وفي خارجه صفة صغيرة محكمة الأركان، وهي مشرفة على البحر العظيم، وفيه بئر ماء فيه بعض الملوحة"[١٨].

ونلاحظ أن الرواق الشمالي يتميز من الأروقة الباقية بالأقواس المتقاطعة المضلّعة التي تغطيه ذات طراز قوطي، ويرجّح أنّ هذه الأقواس تعود إلى تاريخ البناء الأصلي (صورة رقم١٠).

[١٨] عبد الغني النابلسي، المصدر السابق ص ٧.

الجامع المنصوري الكبير في طرابلس (صورة رقم١١)

يقع الجامع المنصوري الكبير في وسط المدينة على الضفة اليسرى من نهر قاديشا، ويُعتقد أن موقعه هو مكان كاتدرائية "سانت ماري دو لا تور" القديمة[١٩]، بناه شخص يدعى سالم الصهيوني بأمر من الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وذلك في سنة ٦٩٣هـ – ١٢٩٤م، استنادًا إلى كتابة مملوكية مؤلفة من ثلاثة أسطر منقوشة أعلى باب المدخل الشمالي. طول الكتابة ٢٦٠ سم، وعرضها ٣٩ سم.

هذا نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم وفاتح الأمصار ومبيد الكفار س٢ الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل قسيم أمير المؤمنين بن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي خلد الله ملكه س٣ في نيابة المقر العالي الأميري الكبير العزّي عز الدين أيبك الخزندار الأشرفي المنصوري نائب السلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة، عفا الله عنه، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستماية. والحمد لله وحده".[٢٠]

وعند نهاية هذا النص هناك نقش آخر بالخط نفسه يذكر اسم المهندس الذي تولى عمارة الجامع. ولنص هو التالي: س١ "تولا (٢) عمارة هذا الجامع المبارك العبد الفقير س ٢ لله (٣) تعالى سالم الصهيوني س ٣ ابن ناصر الدين العجمي (٤) عفا الله عنه"[٢٠].

ذكر الرحالة رمضان العطيفي هذا سنة ١٦٣٣م – ١٠٤٣هـ الجامع بقوله: "أما جامعها الكبير وسراجها المنير فهو جامع حسن البناء، غزير الماء، لطيف الهواء، في خارجه بركة ماء في وسطها بناء، يتوصل إليه في سلم لطيف، وعليه قبة معقودة بالحجارة."[٢١]

زاره الرحالة عبد الغني النابلسي سنة ١٧٠٠م – ١١١٢هـ، وذكر أن "هذا الجامع متسع الجهات، قيل أن أصله كنيسة، وله في فنائه صفوف ورواقان، وله في كل جانب من

---

[19] Camille ENLART, les monuments des croises, p 434.

[20] R.E.C.A. 13 p.122 n 4975

.عمر تدمري، تاريخ، وأثار، ومساجد، ومدارس طرابلس في عصر المماليك ص ٦٢

[٢١] رمضان العطيفي، رحلة من دمشق الشام إلى طرابلس الشام، ص ٢١ – ٢٢.

جوانبه الأربعة باب عظيم، وهو في وسط المدينة، وفي وسط فنائه بركة ماء كبيرة، عليها قبة عظيمة بأربع عضائض، كل عضاضة يحوطها أربعة رجال".[٢٢]

تصميم الجامع (مخطط رقم ٧)

يتبع الجامع المنصوري الكبير في طرابلس تصميم الجوامع الكبرى في العالم[٢٣] وهو باحة مستطيلة الشكل تحيط بها الأروقة من الجهات الأربع، ويدخل إليها بوساطة أبواب عدّة، ويعدُّ الباب الشمالي هو الباب الرئيس للجامع (صورة رقم ١٢). ونجد عن يمينه المدرسة الأثرية، وعن شماله المدرسة الشمسية. ومن المرجح أن هذا الباب كان بابًا للكنيسة الصليبية التي أُقيم الجامع مكانها، وقد أبقى عليه المماليك مع الجدار الشمالي للكنيسة والبرج[٢٤]. وهناك رأي آخر يذكر أن البوابة الرئيسة كانت في مكان آخر، فانتُزعت من الكنيسة القديمة، ووُضعت في مدخل الجامع لتكون شاهدًا لانتصار المسلمين على الصليبيّين[٢٥]. والباب هو فتحة كبيرة يحيط بها عمودان من الرخام في أعلاهما زخرفة قوطية، وعلى ساكف الباب كتابة عربية تنسب للسلطان خليل بن قلاوون بناء الجامع في عام ٦٩٣ هـ- ١٢٩٤م.

وصف الباب الغربي: قديم العهد يعلوه عتب نصف دائري.

الباب الجنوبي: بسيط جدًا ومن دون أهمية تُذكر.

الباب الشرقي: يؤدي إلى سوق البهارات، يعلوه قوس ذو طراز بيزنطي يحمل كتابة من ثلاثة أسطر بالنقش المملوكي، ويبدو أنها كانت كتابة طويلة أتلفت مع الوقت، وتحمل تاريخ ٩٠٨هـ الموافق ١٥٠٢م.

تقع المئذنة جنوبي الباب الشمالي، وهي مستطيلة الشكل، ومؤلفة من طبقات عدّة، الأول من دون فتحات، الثاني تخترقه نافذتان، والثالث تخترقه عشر نوافذ مزدوجة، ومن ثَمَّ يعلوها شكل قمع حديث البناء. ويعتقد أنّها كانت برجًا لأجراس الكاتدرائية ماري دي لا تور وهو لومباردي الطراز (صورة رقم ١٣).

---

[٢٢] عبد الغني النابلسي، المصدر السابق، ص ٧٢.

[23] Pierre LAGAU voyage en Syrie, p 116-118.

[٢٤] عمر تدمري، تاريخ، وأثار، ومساجد، ومدارس طرابلس في عصر المماليك، ص ٦١.

[٢٥] عبد العزيز سالم، طرابلس الشام، ص ٤٠١.

الأقسام الداخلية

يتألف الجامع من صحن رئيس مكشوف من الوسط تحيط به الأروقة من جهاته الشمالية، الشرقية، والغربية. يتوسط الصحن بركة كبيرة للوضوء (ميضأة) ترتكز على أربع دعائم ضخمة[٢٦] مصنوعة من الرخام الأبيض تتوسطها نافورة بثلاث طبقات. جنوبي البركة مصلى يرتفع عن أرض صحن الجامع حوالي المتر وفي جهته القبلية محراب (صورة رقم ١٤). وقد بنى الأروقة أحمد البعلبكي سنة ٧١٥هـ – ١٣١٥م بأمر من السّلطان الناصر محمد بن قلاوون، استنادًا إلى كتابة موجودة على واجهة الرواق الشرقي وهي تسعة أسطر بالخط النسخي المملوكي.

وهذا نصها: " بسم الله الرحمن الرحيم "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (١) أمر بإنشاء هذه س٤ الرواقات تكملة الجامع المبارك مولانا السلطان س٥ الملك الناصر العالم المجاهد س٦ المظفر المنصور ناصر الدنيا والدين محمد بن قلا س٧ وقد خلد الله ملكه في نيابة المقر الشريف السّيفي كستاي الناصري كافل المملكة الشريفة الطرابلسية أعز الله س٨ أنصاره بإشارة المقر العالي البدري محمد بن (٢) أبي بكر (٣) شاد الدواوين المعمورة أدام الله نعمته، وكان الفراغ منه في س٩ شهور سنة خمس عشرة وسبعماية. وصلى الله على سيدنا محمد. تولى (٤) عمارته العبد الفقير إلى الله تعالى (٥) أحمد بن حسن البعلبكي (٦)."[٢٧]

– يتألف الرواق الشمالي من سبعة عقود ترتكز على ثمان دعائم. أما الأروقة الشرقية والغربية فيتألف كل منها من خمسة عقود أكثر اتساعًا من عقود الجهة الشمالية.

يقع الحرم الرئيس إلى الجهة الجنوبية، وتتألف واجهته من سبعة عقود واسعة، ونجد عند العقد السابع غرفة الأثر الشريف[٢٨].

يبلغ طول قاعة الصلاة ٥١،٥٠ م، وعرضها ١١،٣٠ يتألف من ثلاثة أقسام في الوسط منخفض، وعن اليمين واليسار قسمان أكثر ارتفاعًا (القسم الغربي بمستوى الرواق الغربي الخارجي – والقسم الشرقي أكثر ارتفاعًا من الرواق الشرقي الخارجي).

---

[26] Pierre LARGAU, voyage en Syrie p 118.

[٢٧] عمر تدمري، المصدر السابق، ص ٦٦.

[٢٨] عمر تدمري، المصدر السابق، ص ٦٩.

تقع حنية المحراب في وسط الجدار الجنوبي لقاعة الصلاة يحيط بالمحراب عمودين من الرّخام بزخرفة نباتية تشبه النبات الشوكي، ونجد داخل الحنية زخارف دائرية متعرجة بديعة المنظر تؤلف بمجموعتها شكل نبتة زهرة دوار الشمس.

ينتصب المنبر إلى يمين المحراب (طوله ثلاثة أمتار وعرضه متر) صنع بأمر من حاكم طرابلس الأمير قرطاي بن عبد الله الناصري (نائب السلطنة بطرابلس) سنة ٧٢٦هـ، استنادًا إلى كتابه منقوشة على المنبر الخشبي: "أمر بإنشاء هذا المنبر المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى قرطاي بن عبد الله الناصري أثابه الله (...) فأقام من ماله بكتوان بن عبد الله الشّهابي تقبل الله منه، وذلك في شهر ذي القعدة سنة ستة وعشرين وسبعمئة".[٢٩]

والمنبر مصنوع من خشب الجوز، وهو مدرج وجوسق (صورة رقم ١٥) زخارفه نباتية، وهندسية تتألف من أطباق نجمية، وأشكال مفرغة، ومقرنصات، وألوانه تتراوح بين الأصفر، والأحمر، والبرتقالي، والأخضر الزيتوني، والأبيض.[٣٠]

وهناك محراب آخر يقع عند القسم الشرقي المرتفع من قاعة الصلاة يعلوه قوس من الحجارة البيضاء والسوداء أمر بترخيمه الأمير أزدمر الأشرفي سنة ٨٨٣هـ – ١٤٧٨م. والنص هو التالي: "أمر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى (٢) أزدمر الأشرفي كافل المملكة الشريفة الطرابلسية (٣) المحروسة أعز الله أنصاره في أيام مولانا وسيدنا قاضي القضاة (٤) الشافعي الإمام في مستهل ربيع الآخرة سنة ثلاث وثمانين وثمانمئة بمباشرة محمد الشاد."[٣١]

---

[29] R.C.E.A X1V N 5532.

[٣٠] إبراهيم أبو طاحون، عمارة وفنون طرابلس الشام، ص ٤٤.

[31] SOBERHEIM OP.CIT 57 N 24.

خلاصة

إن الحضارات التي توالت عبر الزمن هي استمرارية للعطاء، والإبداع البشري. ولا يمكننا فصل حِقبة تاريخية عن حِقبة أُخرى. فهي جميعها متممة لبعضها البعض، ويتضح لنا ذلك من خلال دراسة بعض المساجد الجامعة في لبنان التي بُنيت على أنقاض أبنية قديمة من مواقع استراتيجية وسط المدن الرئيسة.

على سبيل المثال أن الجامع العمري الكبير في بيروت هو البناء الأصلي لكاتدرائية القديس يوحنا المعمدان التي بُنيت بدورها على أنقاض حمامات رومانية قديمة. وقد حُولت القاعة البازيليكية الرئيسة للكاتدرائية إلى قاعة صلاة في الجامع العمري الكبير بعد أن اخترقت جدارها القبلي محراب، وفتحت ثلاثة أبواب في الحائط الشمالي لتؤدي إلى الصحن الخارجي للمسجد، مع إضافة مئذنة خارجية في الزاوية الجنوبية الغربية للبناء.

كما يُعتقد أن الجامع العمري الكبير في صيدا كان معبدًا للشمس، وتشير إلى ذلك الواجهة الشرقية التي تخترقها أربع نوافذ مستطيلة تعلوها ناقذة دائرية كبيرة باتجاه الشرق، حُول في ما بعد إلى كنيسة بيزنطية، ثم إلى مسجد على إثر الفتح الإسلامي لمدينة صيدا. وعندما دخل الصليبيون إلى المدينة اتخذوا المكان حصنًا، وأقاموا فيه غُرفًا للإقامة، وصالة للاجتماعات، ثم حوّله المماليك نهائيًا في القرن الثالث عشر ميلادي إلى جامع عُرف باسم الجامع العمري الكبير.

وأصبحت قاعة الاجتماعات الرئيسة للحصن قاعة للصلاة، واخترق جدارها القبلي محرابان باتجاه القبلة في مكة المكرمة.

كما يُعتقد أن كاتدرائية سانت ماري دو لا تور القديمة في مدينة طرابلس كانت موجودة في موقع الجامع المنصوري الكبير نفسه، ولم يبق من آثارها سوى المدخل والبرج الذي حُول إلى مئذنة ذات طراز لمباردي. وهناك رآي آخر يقول: إن كنيسة سانت ماري دو لا تور كانت موجودة على الضفة الأُخرى لنهر قاديشا، وأُعيد بناء مدخل، وبرج الكاتدرائية من جديد في الجامع المنصوري الكبير.

وقد أُتبع المخطط العام للمسجد الجامع تخطيط المساجد الكبرى في العالم الإسلامي.

(باحة مكشوفة في وسطها ميضأة تحيط بها الأروقة من جهاتها الأربع، ويُعد الرواق القبلي أكثر الأروقة عمقًا، ويشكل قاعة الصلاة).

كما تمت تغطية قاعة الصلاة، والأروقة المحيطة بها في معظم المساجد الجامعة في لبنان بواسطة عقود متقاطعة، وعقود سريرية مع وجود العقود المتقاطعة المضلعة القوطية الطراز في الرواق الشمالي للجامع العمري الكبير في صيدا.

أما بالنسبة إلى المحاريب فهي من ضمن المحاريب المجوفة[٣٢] التي تغور في الحائط ابتداءً من الأرض، وترتفع فوق قامة الإنسان بقليل.

وقد كُسيت المحاريب بالرخام المتناوب الألوان، وتحيط بها أعمدة قديمة العهد (بيروت – صيدا). أما حنية المحراب في طرابلس فهي مملوكية الطراز ذات زخارف بنائية موجودة داخل الحنية.

أما المآذن، أو موضع مناداة المؤمنين إيذانًا بمواقيت الصلاة، فقد سُميت في المغرب صومعة أو منارة[٣٣]، وتتعدّد أشكال المآذن في لبنان. منها المربع الذي تعلوه شرفة، وشكل قمع عثمانية الطراز كما في صيدا، أو على شكل برج قديم من طبقات عدّة يعلوها شكل قمع حديث كما في طرابلس.

أما المنابر فهي منصة من حجر أو خشب، تتسع لوقوف وجلوس خطيب الجمعة وتعلوها قبة صغيرة أو جوسق[٣٤].

صُنع المنبر في الجامع الكبير في بيروت من الرخام الأبيض والأخضر، وفي صيدا هو منبر حديث البناء. أما في طرابلس فقد صُنع المنبر من خشب الجوز، وهو مدرج، وجوسق، وزُخرف بالزخارف النباتية البديعة الشكل.

---

[٣٢] غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٣٥١.

[٣٣] غالب عبد الرحيم، نفس المصدر السابق، ص ٣٣٢.

[٣٤] غالب عبد الرحيم، نفس المصدر السابق، ص ٤٦٠.

جدول يحدد أبرز السمات المعمارية للمساجد الكبرى في الفترة الوسيطة في المدن الرئيسية في لبنان(بيروت-صيدا-طرابلس)

الاسم	الجامع العمري الكبير- بيروت	الجامع العمري الكبير - صيدا	الجامع المنصوري الكبير- طرابلس
التاريخ	١١٠٠م-٥٠٣ هـ صليبي ١١٨٧م-٥٣٨ هـ ١١٩٧م-٥٩٣هـ صليبي ١٢٩١م-٦٩٠ هـ مملوكي	١٢٩١م-٦٩٠هـ مملوكي	١٢٩٤م-٦٩٣هـ مملوكي
البناء الأصلي	تصميم بازيليكي ثلاثة أروقة تنتهي بثلاث حنايا أكبرها الحنية الوسطى " بازيليكيا بيزنطية قديمة" حُوّلت إلى حرم جامع.	القاعة الرئيسية (الحرم) قديمة العهد. قاعة اجتماعات لفرسان القديس يوحنا المعمدان	مملوكي البناء والمدخل والبرج صليبي الانشاء
التصميم	يتألف الحرم من ثلاثة أروقة استحدث فيها رواق خارجي شمالي	تخطيط المساجد الكبرى باحة تحيط بها الأروقة من جهاتها الأربعة والرواق الشمالي قديم العهد	تخطيط المساجد الكبرى باحة تحيط بها الأروقة من جهاتها الأربعة والرواق القبلي هو أكثر الأروقة عمقًا (قاعة الصلاة)
العقود	عقود متقاطعة في الأروقة الجانبية وسريرية في القاعة الرئيسية	عقود متقاطعة في الحرم والأروقة الخارجية وعقود مضلعة في الرواق الشمالي.	قبوات متقاطعة في الحرم والأروقة الخارجية الشمالية والشرقية والغربية.

المحراب	حنية يكتنفها عامودان كسي بالرخام الأبيض والحجر الرملي على التوالي	بني من الرخام المتناوب الابواب يكتنفه عامودان وتعلوه كتابة. ومحراب آخر بُني برخام أبيض اللون.	حنية يحيط بها عامودان ذات زخارفإ نباتية وداخل الحنية زخارف دائرية بشكل زهرة دوار الشمس
المئذنة	مربعة الشكل تعلوها شرفة وشكل قمع في الأعلى	اسطوانية الشكل عثمانية الطراز تعلوها شرفة وشكل قمع	على شكل برج صليبي قديم من عدة طبقات (لومباردي الطراز).
المنبر	صنع من الرخام الأبيض والأخضر، يعلو مقعد الخطيب قبة وعلى جانبيه زخارف نباتية.	منبر حديث	صنع من خشب الجوز ويحمل كتابه انشائية (سنة ٧٢٦ هـ) متعددة الألوان.وزخارف نباتية وهندسية.

المراجع والمصادر العربية:

. ابن شداد، عز الدين عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم. الاعلاق الخطيرة في معرفة أمراء الشام و الجزيرة. دمشق ١٩٥٦-١٩٦٣.

. ابن بطوطة ابو عبد الله . تحفة النظار في عجائب الأمصاروعجائب الأصفار. باريس المطبعة الوطنية ١٨٧٧.

. تدمري عمر عبد السلام . تاريخ و آثار مساجد و مدارس طرابلس في عصر المماليك _ دار البلاد طرابلس الطبعة الأولى ١٩٧٤.

. حتى فيليب، تاريخ لبنان، بيروت ١٩٧٢.

. خسرو ناصري سفرنامة (رحلة إلى لبنان و فلسطين و مصر و الجزيرة العربية في القرن الخامس هجري)، ترجمة د.يحيى الخشّاب مصر ١٩٦٨.

. زيادة نقولا، مدن عربية، بيروت نيسان ١٩٦٥.

. سالم عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي الإسكندرية ١٩٦٧.

. سامح كمال الدين، العمارة في صدر الإسلام ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٨٢.

. العطيفي رمضان، رحلة من دمشق الشام إلى طرابلس الشام،نشرها اسطفان فيلد ،بيروت ١٩٧٩.

.غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروسن برس،الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٨.

. كرد علي محمد، خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥.

. مرهج عفيف بطرس، اعرف لبنان، موسوعة المدن و القرباللبنانية، ٩ مجلدات، بيروت ١٩٧١-١٩٧٢.

. مصطفى صالح لمعي، مساجد بيروت ، الجامعة العربية-كلية الهندسة المعمارية ١٩٧٨.

. النابلسي عبد الغني بن اسماعيل، التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ، حققته و قدّم له هربيرت بوسه، سلسلة يصدرها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ١٩٧١.

المراجع و المصادر باللغة الأجنبية:

- Creswell, K.A.C, Early Muslim Architecture Umayads A.b. 622-750.oxford, 1969.
- Dussaud, Rene- DESHMAP, Paul- SEYRIE, Henri, La Syrie antique e médiévale illustrée (bibliothèque archéologique et historique ,17). Paris 1931.
- Dussaud, Rene, Topographie historique de la Syrie antique et médiévale paris : Paul Geuthner, 1928.
- Enlart Camille, Les monuments des croises dans le royaume de Jérusalem, Paris : Paul Geuthner, 1925-1928.
- Enlart Camille, Le cathédral saint jean de Beyrouth Paris 1904.
- GODEFROY- DELMOMBYNES, Maurice. La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes paris : Paul Geuthner 1923.

- Guérin Victor, description géographique historique et archéologique de la Palestine Paris : imprimerie impériale 1868-1880.
- LAGAU, Pierre (éd), voyage en Syrie (mémoires de l'IFAO) Le Caire.
- LAMMENS, Henri, histoire de la Syrie, Beyrouth 1921.
- Répertoire d'art et d'archéologie paris 1956.

المخططات:

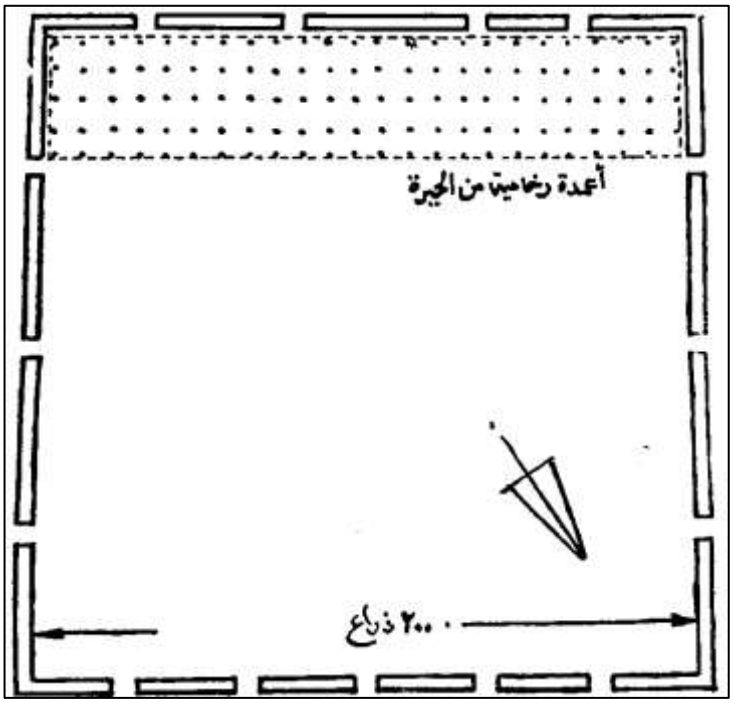

مخطط رقم ١: كمال الدين سامح العمارة في صدر الاسلام ص ١١٥.

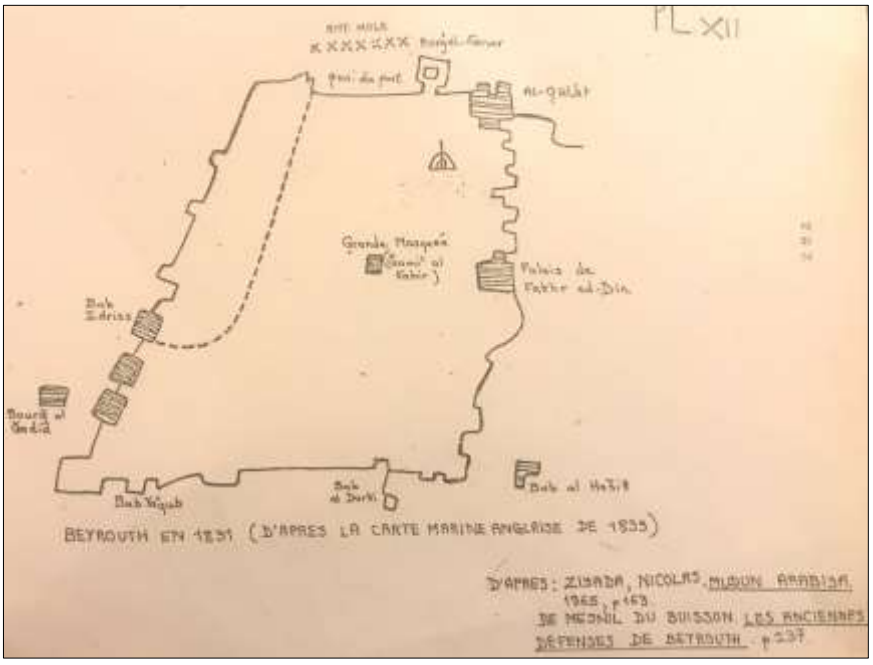

مخطط رقم ٢ : مخطط بيروت سنة ١٨٣١ حسب خريطة البحرية الانكليزية سنة ١٩٤٩. نقولا زيادة مدن عربية ص ١٥٣.

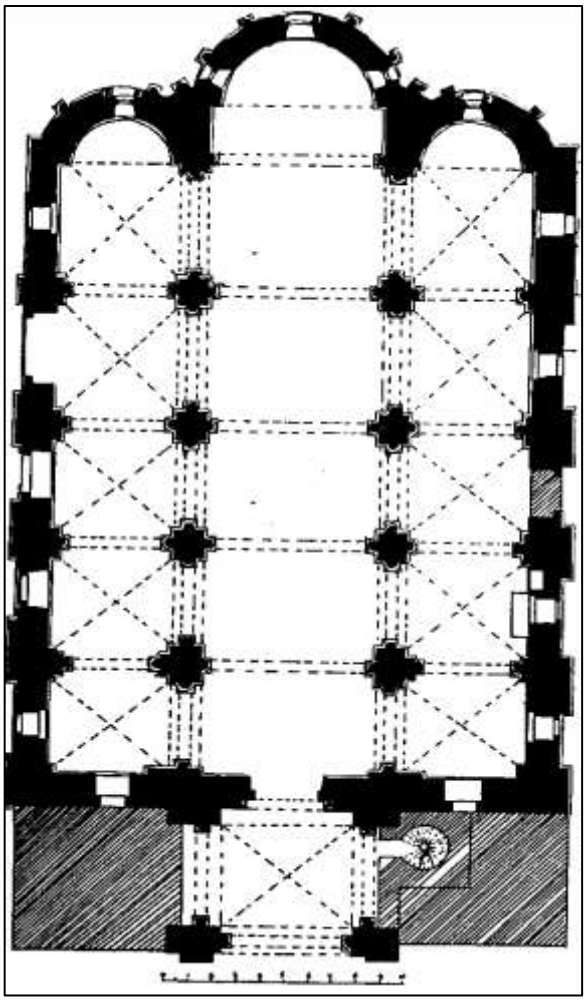

مخطط رقم ٣ : المخطط البازيليكي قاعة الصلاة في الجامع العمري الكبير في بيروت

Camille Enlart, les monuments des croises dans le royaume de Jérusalem. Album 1, Pl 5.

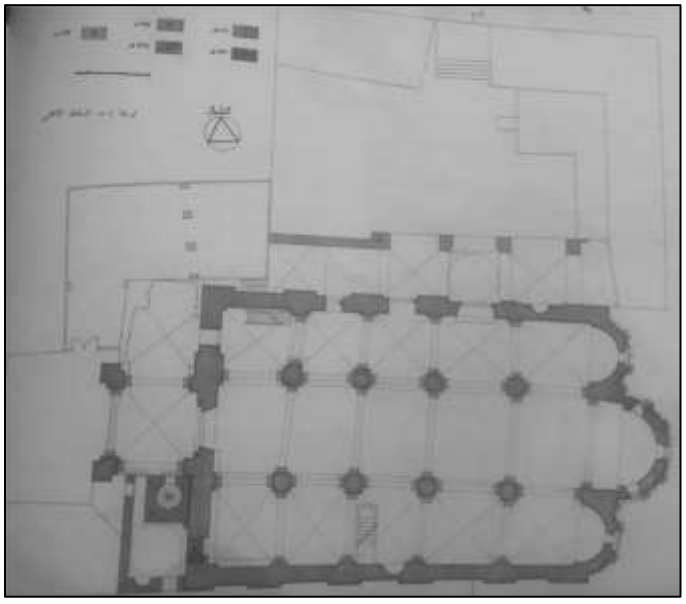

مخطط رقم ٤ : الجامع العمري الكبير في بيروت مع استحداث ثلاثة أبواب في الحائط الشمالي، صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت، لوحة ١ صفحة ٨٠.

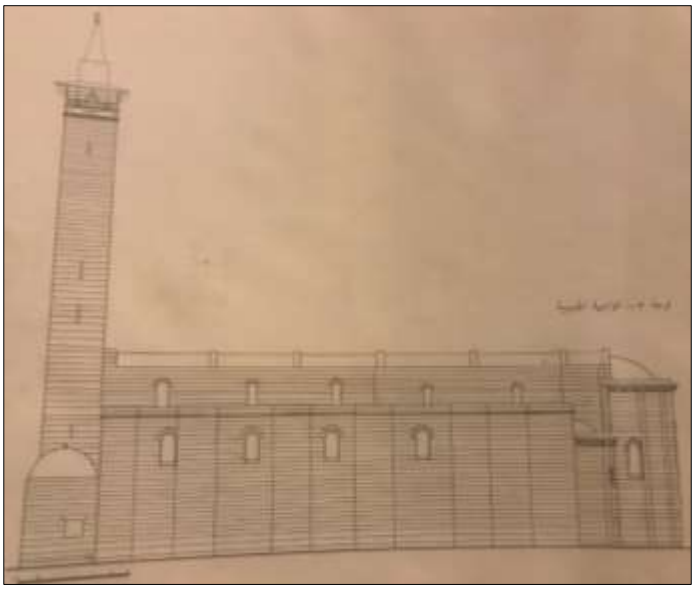

مخطط رقم ٥: الواجهة الجنوبية للجامع العمري الكبير في بيروت، د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت ص ١٣٠.

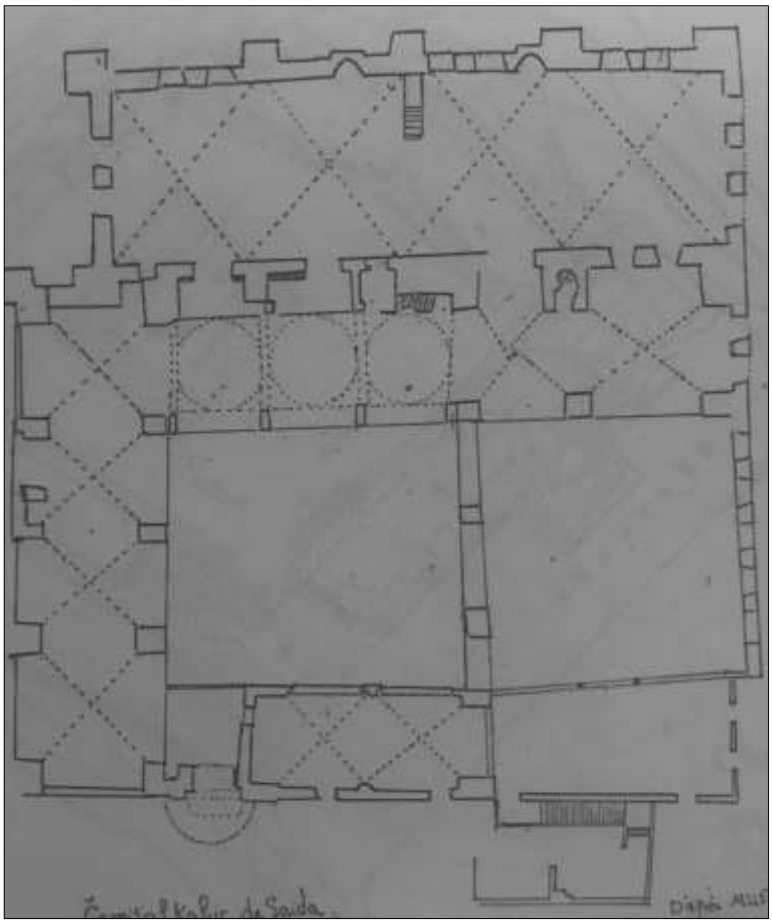

مخطط رقم ٦: المسقط الأفقي للجامع العمري الكبير في صيدا ، د.صالح لمعي مصطفى (تاريخ صيدا). د.م، د.ت.

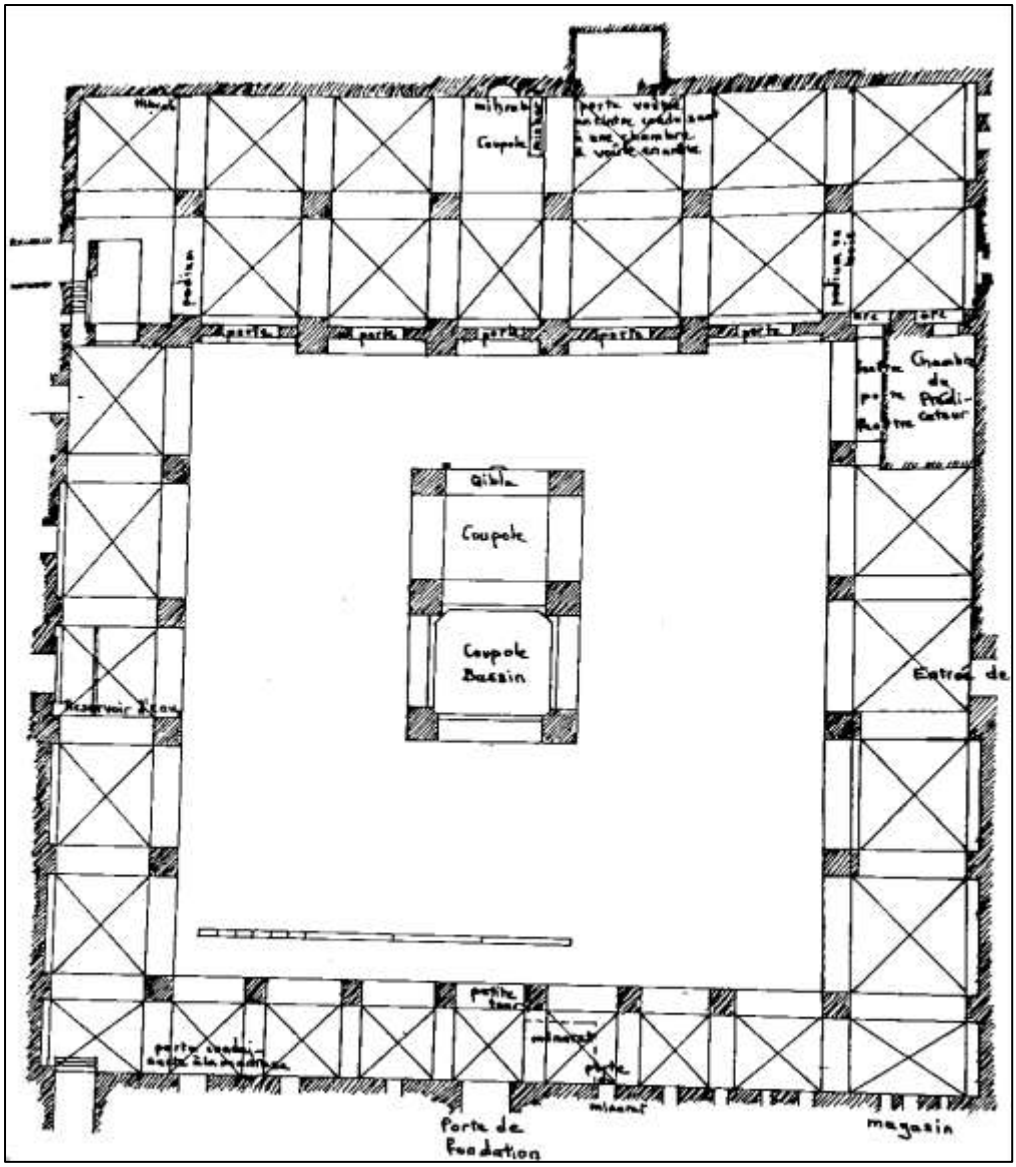

مخطط رقم ٧: الجامع المنصوري الكبير في طرابلس.
SOBERHEIN c.i.a Syrie du nord deuxième partie P.50.

الصور :

صورة رقم ١: الجامع العمري الكبير في بيروت من الواجهة الشرقية.

الجامع–العمرى–الكبير –بيروت https://www.malaysia29.com/

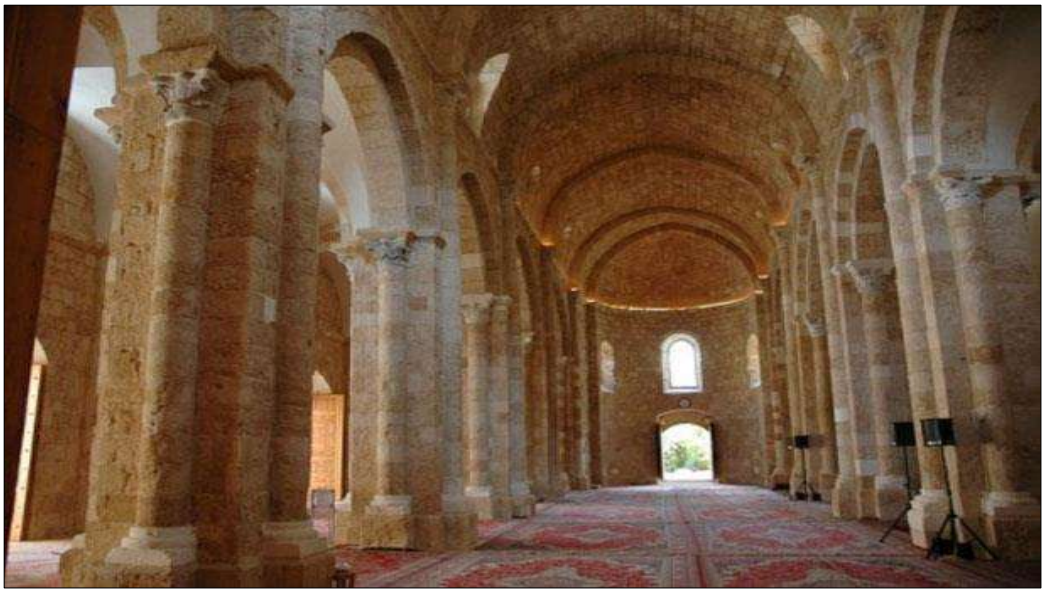

صورة رقم ٢: الرواق الرئيسي في الجامع العمري الكبير في بيروت.

الجامع–العمري–الكبير –بيروت https://www.malaysia29.com/

صورة رقم ٣: المحراب الرئيسي –الجامع العمري الكبير في بيروت. د. صالح لمعي مصطفى، مساجد بيروت ص ٢٢.

صورة رقم ٤: منبر الجامع العمري الكبير في بيروت. لمعي مصطفى ص ٢٢.

صورة رقم ٥: الواجهة الغربية للجامع العمري الكبير–صيدا.

http://saidagate.com/Home/BlogDetails/541

صورة رقم ٦: الجامع العمري الكبير في صيدا، الواجهة الجنوبية. تصوير خاص

صورة رقم ٧: المدخل الشمالي القديم للجامع العمري الكبير في صيدا.

http://saidagate.com/Home/BlogDetails/541

صورة رقم ٨: المدخل الحالي من الجهة الشرقية بالقرب من حمام الورد– الجامع العمري الكبير في صيدا.

http://saidagate.com/Home/BlogDetails/541

صورة رقم ٩: الباحة الداخلية الرئيسية للجامع العمري الكبير في صيدا، ويظهر الرواق الخارجي و القباب. تصوير خاص

صورة رقم ١٠: الجامع العمري الكبير في صيدا. يتميز الرواق الشمالي بالعقود المتقاطعة المضلعة ذات الطراز القوطي و يرجح انها تعود الى تاريخ البناء الاصلي.

http://saidagate.com/Home/BlogDetails/541

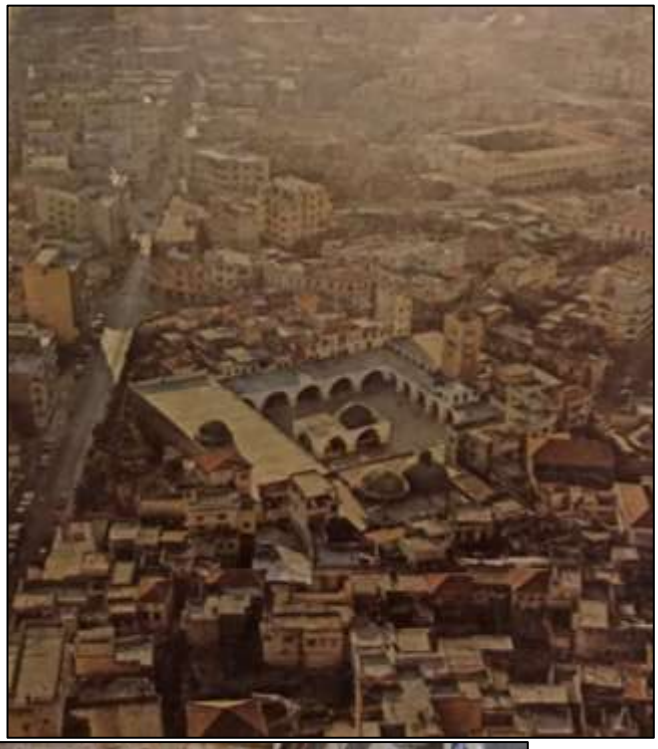

صورة رقم ١١: الجامع المنصوري الكبير في طرابلس من الجو.

https://safarin.net/2016/07/26

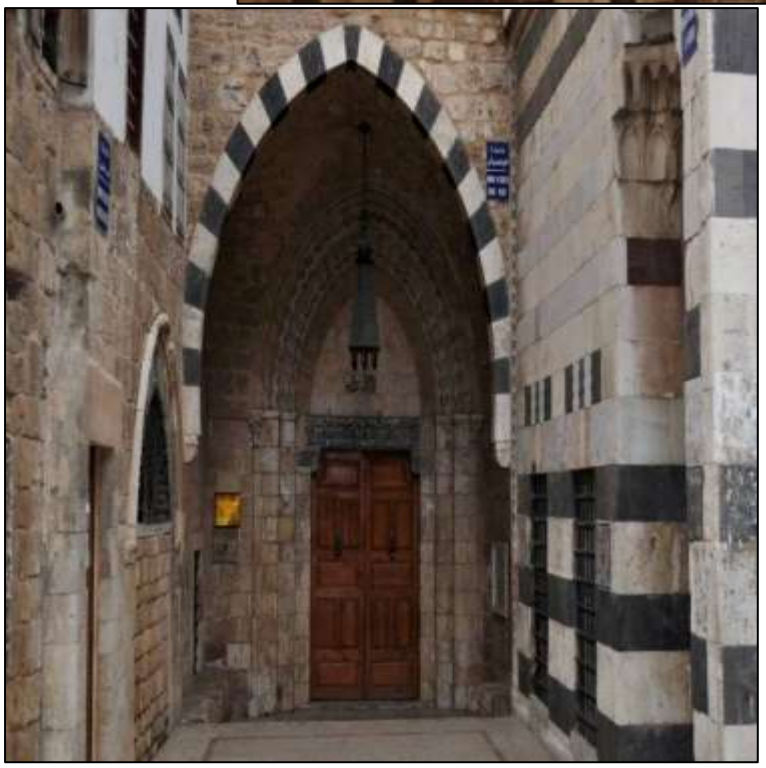

صورة رقم ١٢: الباب الشمالي أو الباب الرئيسي –الجامع المنصوري الكبير في طرابلس.

https://www.annahar.com/article/605511

صورة رقم ١٣: المئذنة عبارة عن برج من ثلاث طبقات– الجامع المنصوري الكبير في طرابلس.
https://www.elnashra.com/news/show/640029/

صورة رقم ١٤: الميضأة أو بركة الوضوء في الجامع المنصوري الكبير في طرابلس.

https://www.annahar.com/article/605511

صورة رقم ١٥: منبر الأمير قرطاي – الجامع المنصوري الكبير في طرابلس. تصوير خاص.

The main architectural features of the Islamic mosques in Lebanon (Beirut- Saida- Tripoli)

Dr Rafah chehade kassir •

Abstract:

The aim of this research is to describe the main architectural features of major Lebanese mosques and put them within the specified time frame and set a table that identifies similarities and differences among them.

1. The definition of the mosque: There is no verse in the Qur'an or Hadith of the Prophet specifying how to plan mosques, but the habit that was followed in the construction of the first Islamic mosques was the one that was later known in the planning of the mosque. The mosque is an open courtyard in the center surrounded by the halls of the four sides, and the tribal corridor is the most profound corridors and forms the sanctuary of prayer, penetrates the merit of a "mihrab" is an apse that defines the direction of the Holy Qibla in Makah as well as the presence of tribune (MINBAR) near the mihrab. Major mosques in Lebanon:

1-The Great Mosque of the age in Beirut: It is one of the most important intermediate mosques in the city of Beirut and known as the Mosque of Fatouh al Islam.

2-The Great Mosque of al-Omari in Saida: The mosque rises west of the city of Saida and looks like castles with its general appearance.

3. The Grand Mosque of Mansuri in Tripoli is located in the city center on the left bank of the Kadisha River.

After studying the architects and artificial characteristics of the grand mosques in Lebanon, it will be placed within the timetable and the establishment of a comparative table that determines the similarities and differences among them.

Keywords:

Arms – Arching - counterfort – Gallery- vaults- minaret- prayer place- tribune- mosaic- mosque.

• ***Doctor in Archeology, Department of arts and Archaeology, Faculty of Letters and Human Sciences, Lebanese University***dr.rafah.chehade@hotmail.com